Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518
Volume 5(7), May 2018

Article History		
Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online / Yayınlanma
4 /4/2018	12 /5/2018	15 /5/2018

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

معهد الفنون الجميلة للبنين/ ديالى/ وزارة التربيّة/ العراق

ملخص البحث

تمتعت بلاد ما وراء النهر بأهمية كبيرة بين أقاليم الدولة العربية الإسلامية . لما تميزت به هذه البلاد من اتساع رقعتها الجغرافية وتنوع ظروفها الطبيعية والمناخية وتعدد مواردها؛ الأمر الذي جعلها تتصف بالثراء الاقتصادي .

لقد تضافرت عوامل طبيعية وبشرية على جعل صناعة المنسوجات في هذه البلاد واسعة الانتشار ومتعددة ومتقنة إلى المستوى الذي جعلها محط إقبال الطبقات الراقية واقتناءها في المجتمع سواء داخل بلاد ما وراء النهر أو خارجها وجاء ذلك نتيجة توفر المواد الأولية ، حيث وفرة القطن ، والكتان ، وتربية دودة القز المنتجة للحرير، فضلا عن وجود العمال والحرفيين الماهرين الذين أتقنوا الصنعة وتفننوا في إنتاج منسوجات متنوعة تلبي حاجة الناس إذ لم يقتصر إنتاج المنسوجات على الأقمشة والثياب وإنما تعددت وتنوعت ومنها الثياب الوذارية وثياب الكرابيس وصنعت كذلك القلانس والأقبية والمفروشات.

وتعددت كذلك المراكز الصناعية في بلاد م وراء النهر فاشتهرت مدن وأقاليم كثيرة بصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والحريرية أخذت الكثير منها اسم الإقليم أو المدينة المصنعة .

ولم يقتصر إنتاج المنسوجات في تلك البلاد على سد حاجة الناس محلياً وإنما كان ما يفيض منه يصدر إلى أنحاء أخرى من الدولة العربية الإسلامية والبلاد المجاورة .

الكلمات المفتاحية: المنسوجات، بلاد ما وراء النهر، القرن الرابع الهجريّ.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

Textile industry in Transoxiana until the end of the fourth century AH

Dr. Hameed Jameel Mohammed

Institute of Fine Arts. Diyala. Iraq

Transoxiana has a great important among the regions of the Islamic Arab state. This country has been characterized by its geographical spread, diversity of natural and climatic conditions and the diversity of its resources, which made them rich in economic. Natural and human factors have combined to make the textile industry in this country wide-spread and variedto be attractive to the higher classes society and possession inside and outside the country. This because of the availability of the raw materials where the abundance of cotton, flax, Silkworm breeding which is produce the silk andAs well as the presence of workers and craftsmen which mastered the workmanship and specialized in the production of various textiles to meet the needs of the people. Where, the production of the textiles have not limited to fabrics and clothing, but also including dresses and garb clothes and Wethari clothes also, Skullcaps and Beddings.

The industrial centers in Transoxiana are grown. Therefore, many cities and regions became famous in the industry of the cotton, linen, and hinterland which have taken the name of the region or the industrial city. The textile production did not limitedthe fill the needs of the people locally, but the surplus was exported to other parts of the Arab Islamic country and neighboring countries.

Keywords: Textiles, the country beyond the river, the fourth century AH,

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيّدنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلهِ وصحبهِ وسلّم تسليمًا كثيرًا، وبعد...

تُعدُّ بلاد ما وراء النهر من أهم أقاليم الدولة العربيّة الإسلامية التي اتصفت بالثراء بفضل الله تعالى الذي انعم عليها بموارد وخيرات طبيعية كثيرة ومتنوعة، منها: الأرض الطيبة، والتربة الخصبة الصالحة لزراعة محاصيل زراعية مختلفة، وكذلك وفرة مياه الري التي اكتملت بها مقومات الزراعة الطبيعية، ومع وجود الأيدي العاملة من أبناء تلك البلاد صار الإنتاج يسيرًا لكافة المحاصيل الزراعية التي تدخل في صناعة كافة أنواع المنسوجات التي هي موضوع دراستنا.

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدّراسة على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، يتضمن التمهيد بلاد ما وراء النهر الموقع الجغرافي والتسمية والنشأة والفتوحات العربية الإسلامية ، وتصدى المبحث الأول: للعوامل التي أسهمت في قيام صناعة المنسوجات، وهي وفرة المواد الخام (المواد الأولية)، والتي تُعدُّ تلك البلاد غنية بها، وكثرة الأيدي العاملة في مجال الصناعة، فيما قُسم المبحث الثَّاني إلى ثلاثة أقسام: جاء أوّلًا: المنسوجات القطنية، وثانيًا: المنسوجات الكتانية، وثالثًا: المنسوجات الحريرية، ولكل نوع من هذه المنسوجات وضحنا أين تكثر مادتها الأولية، وأي مناطق تلك البلاد اشتهرت بها، فضلًا عن الكميات المنتجة من كُلّ نوع من هذه المنسوجات، وكذلك الإشارة إلى الدقة والإتقان التي اتصف بها عمال هذه المنسوجات وصُناعها، والتي كانت سببًا في شهرتها وذيوع صيتها.

ثمَّ تأتي بعد ذلك الخاتمة التي سوف نوضح فيها ما نتوصل إليه من نتائج في هذه الدّراسة، وما نرى أَنَّهُ جدير بأنْ يكون من توصيات تخص الموضوع.

وَمِمَّا تجدر الإشارة إليه هنا هو أَنَّ هذه الدّراسة لم تكن بالسهلة الميسرة، لأَنَّ البحث في مثل هذه الدراسات يتطلب دقة وتمحيص عاليين في بطون الكتب والمصادر المتنوعة والمختلفة من حيث الاختصاص، إذ تناثرت المعلومات في المصادر الجغرافية وكتب البلدانيين، فضلًا عن قلة المعلومات في المصادر التأريخية وتفرقها، وعدم وجود دراسات مستقلة كثيرة في مثل هذا الموضوع المهم والحيوي، نرجو من الله أَنْ نكون قد وفقنا في هذا وهو ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

تمهيـــد :

يقصد ببلاد ما وراء النهر البلاد الواقعة خلف نهر جيحون قال ياقوت الحموي[1]: "يراد به بلاد ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كانَ في شرقيّه يُقال لَهُ: بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سَمّوهُ ما وراء النهر، وما كانَ في غربيّه فهو خراسان، وولاية خوارزم، وخوارزم ليست من خراسان إنَّما هي إقليم برأسه"، وبذلك تكون هذه المنطقة هي الرقعة الجغرافية الواقعة شمال شرق خراسان وتحديدًا الأراضي الواقعة خلف الضفة اليمنى لنهر جيحون[2].

ويحدد ابن حوقل[3] حدود الإقليم بقولهِ: "وَأَمَّا ما وراء النهر وما يحيط به من شرقيّه ففامر والراشت وما يتاخم الخُتل من أَرض الهند على خط مستقيم، وغربيّه بلاد الغُزية والخزلجية من حَدّ الطراز ممتدًا على تقويس حتّى ينتهي إلى باراب[4]، وستكند وسُغْد سمرقند ونواحي بخارا إلى خوارزم حتّى ينتهي إلى بحيرتها، وشماليها الترك الخزلجية من أقصى بلد فرغانه إلى الطراز على خط مستقيم، وجنوبيه نهر جيحون من لدن بذخشان إلى بحيرة خوارزم على خط مستقيم أيضًا".

وعرفت بلاد ما وراء النهر قديمًا ببلاد تركستان الكبرى، ومعناها: أَنَّ تلك البلاد تحولت تسميتها من بلاد تركستان الكبرى إلى بلاد ما وراء النهر بعد أَنْ فتحها المسلمون في القرن الأَوّل الهجريّ[5]، وهي بذلك تكون المنطقة الواقعة خلف نهر جيحون (أموردايا) وسيحون (سيردايا) وهي منطقة شاسعة تمتد من تركيا غربًا إلى حدود الصين شرقًا، وهي مقسمة إلى تركستان الشرقية وتركستان الغربية، تخضع تركستان الشرقية والتي تسمى اليوم (سينكيانغ) للاحتلال الصيني، أَمّا تركستان الغربية فتضم في الوقت الحاضر خمس دول هي: طاجيكستان، وتركمانستان، وقيرغيزستان، وأوزبكستان، وكازاخستان، فضلًا عن أذربيجان التي يشملها إقليم القوقاز مع بعض الجمهوريات والأقاليم الأخرى ذات الاستقلال الذاتي في جمهوريّتي أرمينيا وجورجيا[6].

وأكثر مدن بلاد ما وراء النهر تقع على طول نهر جيحون، إذ قال المقدسي[7]: "هذا نهر يشقُ الإقليم ويفيض من بحيرة خوارزم وعليه كور جليلة ومدن عِدَّة وينشعب منهُ أَنهار كثيرة ويقلب إليه الأنهار الستة، فَأَمَّا الكور فالخُتَّل ثمَّ قواديان ثمَّ خوارزم، وَأَمَّا المدن فترمذ ثمَّ كالف ثمَّ نويرة ثمَّ زَمُّ ثمَّ فِربَر ثمَّ آمل"، وكثير من المدن الأخرى التي يطول ذكرها[8].

---

(1) معجم البلدان، شهاب الدِّين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ/1228م) 1397هـ/1977م، بيروت، ، ج3، ص408، ج5، 45.

(2) ينظر: صور الأقاليم، البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت322هـ/933م)، مخطوطة مكتبة الحكيم العامة، النجف، رقم632، ورقة112؛ مسالك الممالك، الاصطخري، إبراهيم بن مُحَمَّد (ت340هـ/951م)، تحقيق: مُحَمَّد جابر عبدالعال، 1961م، القاهرة، ص160؛ صورة الأرض، ابن حوقل، أبو القاسم مُحَمَّد بن علي النصيبي (ت367هـ/977م)، ط1 ، 2009م، القاهرة، ص417؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، شمس الدِّين أبي عبدالله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر (ت380هـ/990م)، علق عليه ووضع حواشيه: مُحَمَّد أمين الضناوي، ط1 ، 1424هـ/2003م، بيروت، ص225؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، 47/5.

(3) صورة الأرض، ص417.

(4) وردت باسم (فاراب) عند الاصطخري. ينظر: مسالك الممالك، ص287.

(5) ينظر: تأريخ الخلفاء، السيوطيّ، جلال الدِّين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/ 1507م)، تحقيق: مُحَمَّد أحمد عيسى، ط1، دار الغد الجديد، 1428هـ/2007م، القاهرة، ص218؛ التأريخ السياسي والحضاري للدولة العربيّة، سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، لا.ت، بيروت، ص361-363.

(6) ينظر: التأريخ الإسلامي، التأريخ المعاصر، المسلمون في الإمبراطورية الروسية، شاكر، محمود ، ط2، المكتب الإسلامي، 1414هـ/1994م، بيروت، دمشق، عمان، ج21، ص224، ص225؛ محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز – الواقع والتأريخ، سلطان، د. سعيد أحمد، ط1، 1426هـ/2005م، القاهرة، ص6، ص18؛ المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقًا دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية، محمود طه أبو العُلا، 1905م، القاهرة، ص8.

(7) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص225.

(8) ينظر: صورة الأرض، ابن حوقل، ص418-421؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، ص226-230.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

بدأ الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر في عهد الخليفة عمر بن الخطابﷺ (13-23هـ/ 633-643م)[1]، واستمرت محاولات المسلمين في إكمال فتح تلك البلاد طوال حكم الخلفاء الراشدين، وخلال مُدّة حكم الدولة الأموية، أي إنَّ الفتح كانَ على مراحل حسب طبيعة المدن التي فتحت، وكذلك حسب ظروف الدولة، فمثلًا بعد تولي المهلب بن أبي صفرة أمر خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق بأمر من الخليفة عبدالملك بن مروان (65-86هـ/685-755م) واصل المهلب الغارات الثغرية على بلاد ما وراء النهر، ففي عام (80هـ/699م) عبر النهر، ووصل إلى مدينة كش التي اتخذها قاعدة حربية تنطلق منها قواته تحت قيادة أبنائه[2]، ويؤيد ذلك إرسال يزيد بن المهلب (83-85هـ/701-704م) لفتح الخُتل والصغد، فتمكن يزيد من فتح (خجندة) ودفع إليه إخشيد الصغد الإتاوة[3]، كما أرسل ابنه حبيبًا إلى مدينة ينجن من أعمال بخارى ففتحها وغنم منها[4].

وتواصلت الجهود في فتح بلاد ما وراء النهر، إذ أسهم الكثير من القادة في استتباب نفوذ المسلمين في تلك البلاد، فيرجع الفضل إلى الفضل بن المهلب في استتباب نفوذ الأمويين في إقليم الصغد والختل، إذ مدّ لَهُ إخشيد الصغد يد العون، وهكذا انحاز الأمراء الأتراك إلى الأمراء العرب في حروبهم[5]، وظل العرب على تلك السياسة الثغرية من الغزو السريع والتقهقر حتّى سنة (85هـ/704م) عندما هيأت لهم جهودهم السابقة أَنْ يحققوا بعض النجاح، إذ تمرنوا على الطبيعة الجبلية، وتعودوا القتال في الجو البارد، ورغم أَنَّهم لم يحققوا كسبًا واضحًا، إلَّا أَنَّهم حققوا تفاهمًا بعد ذلك النضال بين أمراء البلاد المحليين وحكومة الدولة العربيّة الإسلامية الشرعية[6].

أَمّا بداية الفتح الحقيقي لبلاد ما وراء النهر فقد بدأَ سنة (86هـ/705م)، إذ بدأَ الاقتحام الحقيقي لقلب المقاومة التركية، وتثبيت أقدام المسلمين في بخارى وسمرقند، وكش، ونسف، وكرمينية، والدبوسية، وبيكند، وتومشكت، ورامیثن، وخوارزم، وغيرها من أقاليم ما وراء النهر، وكان ذلك بقيادة القائد العربيّ قتيبة بن مسلم الذي استمرت حملته عشر سنوات كانت حافلة بالانتصارات المتلاحقة بفضل القيادة الحكيمة والموفقة والجهود الكبيرة التي بذلها قتيبة في ذلك المجال، فضلًا عن توفر عوامل أُخرى ساعدت على إتمام الفتح وتوسعته، واستهلت في الوقت ذاته صفحة الفتح الحقيقي المنظم.

ويعود بعض من هذه العوامل إلى طبيعة الحكم الأموي الذي بدأت أوضاعه الداخلية بالاستقرار بعد سنة (86هـ/705م) في عهد الوليد بن عبدالملك (86-96هـ/705-715م) الذي يُعَدُّ عصره استئناف الفتوح العربيّة على كافة الجبهات تقريبًا[7].

والبعض الآخر من هذه العوامل يعود إلى طبيعة ذلك الإقليم الذي تجري فيه الفتوحات، والتي آلفها العرب واعتادوا عليها في الغارات الثغرية، إلى جانب أَنَّ الدولة بدأت تجند أبناء تلك البلاد من الترك والفرس للمشاركة في الفتح[8]، فضلًا عن الاستعداد التي جرت في قاعدة خراسان، والتي حشدت فيها جيوش كثيرة قوية موحدة ومتماسكة وضعها القائد قتيبة بن مسلم على طريق الجهاد في سبيل الله،

---

(1) ينظر: الكامل في التأريخ، ابن الأثير، عز الدّين أبي الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت630هـ/1238م)، ط1، دار الكتب العلميّة، 1987م، بيروت، ج3، ص5؛ الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، عبداللطيف ، أحمد توني ، بحث منشور ضمن المؤتمر الدولي، المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، 1992م، القاهرة، ص57.

(2) الكامل في التأريخ، ابن الأثير، 4/192-193.

(3) تاريخ بخارى، النرشخي، أبو بكر مُحَمَّد بن جعفر (ت348هـ/959م)، ترجمة: أمين عبدالمجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، 1993م، القاهرة، ج1، ص67.

(4) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير (ت310هـ/922م)، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، 1959م، القاهرة، ج5، ص322.

(5) الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربيّ والتركي، محمود ، حسن أحمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م، القاهرة، ص144.

(6) تأريخ الرسل والملوك، الطبري، 5/291.

(7) المصدر نفسه، 5/291.

(8) تركستان من الفتح العربيّ حتّى الغزو المغولي، بارتولد، فاسيلي، فلاديمروفتش، ترجمة: صلاح الدّين عثمان هاشم، ط1، 1981م، الكويت، ص145، ص199.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

بعد أَنْ هيأ الأجواء المناسبة لتهيئة تلك الجيوش من القبائل التي حثها على توحيد الموقف والكلمة والتوجه للفتوحات، بدلًا عن المنازعات والخلافات[1]، وتتابعت الفتوحات في مدن بلاد ما وراء النهر، إذ أخذت وقتًا ليس بالقصير ونفذت على مراحل يمكن إيجازها بما يأتي:

المرحلة الأولى: سنة (86هـ/705م) فتح طخارستان والاستيلاء على الطالقان وبلخ.

المرحلة الثَّانية: من سنة (87-90هـ/705-708م) فتح بخارى وسمرقند.

المرحلة الثَّالثة: من (91-93هـ/709-711م) وفيها امتد النفوذ العربيّ إلى وادي جيحون وبلاد الصغد وخوارزم.

المرحلة الرابعة: من (94-97هـ/712-716م) وفيها وصل قتيبة إلى وادي نهر سيحون وإقليم فرغانة، وأوغل كذلك إلى كاشغر مقتربًا من حدود الصين[2].

ومن الجدير بالذكر أَنَّ فتح عدد كبير من مدن بلاد ما وراء النهر كانَ لَهُ الأثر الكبير في تسهيل مهمة الفتح في باقي البلاد، فضلًا عن أَنَّهُ أبرز قوة العرب المسلمين هناك، فبعد أَنْ أخضع قتيبة إقليم طخارستان ذلك الإقليم الكبير الذي يقع على ضفتي نهر جيحون في المرحلة الأولى (86-87هـ/705-706م) [3]، وأخضع ملك الصغانيان (بتيش الأعور) [4]، وفتح بلخ، واطمأن على وضعه في خراسان، وبعد أَنْ هابته ملوك وأمراء ما وراء النهر وطخارستان الذين هرعوا إليه بتقديم الهدايا وفروض الطاعة والولاء، بدأ يتأهب لبدء جهاده الأكبر في إقليم الصغد، ثمَّ توالت الفتوحات ففتحت مدينة بيكند صلحًا بعد أَخذ الكثير من المال من أهلها[5]، وفتحت بخارى (89-90هـ/709-710م)[6]، وامتد الفتح إلى وادي جيحون كُلّه وإقليم الصغد بأجمعه، وتم بسط السيادة الإسلامية على أتراك ما وراء نهر جيحون، وفتحت مدينة سمرقند العاصمة السياسية لإقليم الصغد[7]، وفتحت شومان وكِش ونسف سنة (91هـ/709م) [8]، وفتحت وفتحت خوارزم سنة (93هـ/711م) [9].

وبعد ذلك جاءت المرحلة الرابعة من مراحل الفتح من سنة (94-96هـ/712-714م) التي تَمَّ فيها فتح البلاد التي تقع على نهر سيحون كالشاش وفرغانة[10].

استمر الفتح الإسلامي في تلك البلاد إلى وفاة قتيبة بن مسلم، إذ توقف إلى الحَدّ الذي تركه عليه، وذلك لأَنَّ والي خراسان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي ولّاه الخليفة سليمان بن عبدالملك (96-99هـ/714-717م) وجه همه إلى فتح جرجان وطبراستان ولم يكن المسلمون قد وصلوا تلك البلاد من قبل، وكان وراء ذلك ليفرح الخليفة سليمان بن عبدالملك كما كانَت نجاحات قتيبة تُفرّح الوليد،

---

(1) الفتح الإسلامي ببلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك، عبد اللطيف ، عبدالشافي محمد ، 1993م، القاهرة، ص17.

(2) الإسلام في آسيا الوسطى، محمود، ص149.

(3) فتوح البلدان، البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)، 1318هـ، القاهرة، ص409.

(4) زين الأخبار،جرديزي، أبو سعيد عبدالحي بن الضحاك بن محمود (ت443هـ/ 1051م)، ترجمة: أ.د. عفاف السيد زيدان، 1982م، القاهرة، ص184-185.

(5) ينظر: تاريخ بخارى، النرشخي، ص70؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 431/6.

(6) ينظر: تأريخ بخارى، النرشخي، ص72؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 439/6؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 152/4-153.

(7) ينظر: فتوح البلدان، البلاذري، ص422-423؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 447/6.

(8) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 431/6؛ فتوح البلدان، البلاذري، ص423؛ تركستان من الفتح العربيّ، بارتولد، ص331.

(9) البداية والنهاية، ابن كثير، عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م)، تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، 1418هـ/1980م، القاهرة، ج12، ص439.

(10) ينظر: دول الإسلام، الذهبي، الحافظ شمس الدِّين أبو عبدالله مُحَمَّد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، 1233هـ، حيدر آباد الدكن، ج1، ص82؛ شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن علي بن مُحَمَّد (ت1089هـ/1678م)، مكتبة القدس، لا.ت، بيروت، ج1، ص102.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

وبالفعل استطاع يزيد أَنْ يفتح جرجان صلحًا، ثمَّ توجه إلى طبرستان فنقض أهل جرجان الصلح، فرجع إليها وفتحها عنوة[1]، وعلى أية حال استمر الجهاد والفتح في ذلك الجانب من العالم من قبل المسلمين إلى نهاية حكم بني أمية[2].

وكان قيام الدولة العباسية (132هـ/750م) في بلاد ما وراء النهر أوّلًا تعبيرًا عن حركة إسلامية ضخمة تمت آخر العصر الأموي، إذ أفاد العباسيون من الجهود التي بذلها الأمويون في الفتوحات ونشر الإسلام، واستطاع دعاة العباسيين اجتذاب أتراك الصغد وخوارزم المسلمين كغيرهم من موالي الدولة الإسلامية إلى دعوتهم القائمة على العدل، والإصلاح، والإمامة للرضا من آل مُحَمَّدﷺ[3].

ووجد أهل ما وراء النهر المتطلعين إلى مزيد من النفوذ والسلطان والراغبين في الخلاص من مظالم العصر الأموي في الدعوة العباسية ما يحقق آمالهم[4].

وكان للعباسيين دورهم البارز في تاريخ بلاد ما وراء النهر والعلاقات العربيّة التركية، وفي انتشار الإسلام في أوطان الترك[5].

وعلى أية حال فإنَّ تلك البلاد بقيت بين القوة والضعف، وبين الانتقال إلى حكم إمارة مستقلة خارج دولة الخلافة العباسية وبين البقاء ضمن الدولة العربيّة الإسلامية في العصر العباسي، إذ قامت في بلاد ما وراء النهر ما بين سنتي (260-395هـ/873-1044م) إمارة جديدة أو دولة سميت بالدولة السامانية، وصارت بلاد ما وراء النهر تتبع إداريًا عامل خراسان، ولما استقر العباسيون في الخلافة أبقوا لعامل خراسان حق الإشراف الإداري على تلك البلاد[6].

وفي المدّة الأخيرة من حكم السامانيين خرجت ولاية خراسان ومن ضمنها بلاد ما وراء النهر عن التبعية للدولة السامانية لتدخل في تبعية دولة جديدة هي الدولة الغزنوية[7]، التي استمدت اسمها من مدينة غزنة التي تولي أمرها أحد القادة الأتراك من بلاد ما وراء النهر الذي يُدعى سبكتكين[8].

وبقي هذا حال بلاد ما وراء النهر إلى نهاية القرن الرابع الهجريّ، أي إنَّ تلك البلاد خضعت لولاية خراسان التي بدورها خضعت للدولة الغزنوية حتّى ذلك التاريخ[9]، واليوم تتوزع تلك البلاد كما ذكرنا آنفًا بين إيران وأفغانستان، والجزء الأكبر منها يقع في الجمهوريات الإسلامية الخمس في آسيا الوسطى[10].

---

(1) تاريخ الرسل والملوك،الطبري، 6/541-544.

(2) ينظر تفاصيل ذلك في: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 6/605، 7/8، 14، 65، 71، 112، 114، 176، 192؛ فتوح البلدان، البلاذري، ص201، 519، 525، 527.

(3) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 5/53؛ تأريخ الخلفاء، السيوطي، ص145؛ الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، الشامي، أحمد ، 1986م، القاهرة، ص155.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام في آسيا الوسطى، محمود، ص157؛ تركستان من الفتح العربيّ، بارتولد، ص314.

(5) تاريخ الإسلام في آسيا الوسطى، محمود، ص157.

(6) تاريخ بخارى، النرشخي، ص24.

(7) تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتّى العصر الحاضر، فامبري، أرمنيوس، ترجمهُ وعلق عليه: د. أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم لَهُ: د. يحيى الخشّاب، مكتبة نهضة الشرق، لا.ت، القاهرة، ص122، 125.

(8) موجز تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، عدوان ، أحمد محمود ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1410هـ/1990م، الرياض، ص125، 128.

(9) تأريخ البيهقي، البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسن (ت470هـ/ 1077م)، ترجمه: يحيى الخشّاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، 1982م، بيروت، ص734.

(10) للمزيد من المعرفة عن بلاد ما وراء النهر ينظر: كتاب حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، المصري ، جميل عبدالله مُحَمَّد ، ط1، 1406هـ/1986م، الرياض، الجزء الثاني.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

المبحث الاول : العوامل التي أسهمت في قيام صناعة المنسوجات:

مثلت مدن بلاد ما وراء النهر وقُراها عنصرًا أساسيًا في التطور الصناعي لتلك البلاد، وذلك لأَنَّها كانت فضلًا عن أَنَّها مدن وقرى زراعية ذات أراضٍ خصبة ومياه وفيرة[1]، فهي أيضًا امتهن سكانها الكثير من الصناعات وأتقنوا الحرف اليدوية مثل: الحياكة، وصناعة مختلف المنسوجات، ودباغة الجلود وصناعتها، وازدهار الزراعة، وما صاحبه من تطور في الإنتاج الحرفي والصناعي بالاعتماد على الإنتاج الزراعي الذي تنوع بين المنتجات الزراعية التي تدخل في مختلف أنواع الصناعات النسيجية، وبين المنتجات الحيوانية من أصواف الأغنام، والشعر، والوبر، والحرير، وغيره، والتي وصفت بالوفيرة في بلاد ما وراء النهر، وقد انتشرت المشاغل اليدوية لإنتاج القطع الرائعة من مختلف المنسوجات والتي امتازت بنعومتها العالية وصناعتها المتقنة.

ولازدهار الصناعات النسيجية، وتطورها، وتنوعها، وجودتها التي أدت إلى ذيوع شهرتها ما بين دول العالم الإسلامي عِدَّة عوامل سنقتصر على ذكر أهمها هنا في هذه الدّراسة وهما عنصرين أساسيين الأَوّل: وفرة المواد الخام اللازمة لقيام هذه الصناعة، والثَّاني: كثرة الأيدي العاملة في مجال الصناعة.

أوّلًا: وفرة المواد الخام (المواد الأولية):

اعتمدت الصناعة في بلاد ما وراء النهر على ما ينتج من المحاصيل الزراعية التي تدخل في صناعة المنسوجات، إذ تتوزع المنتجات الزراعية وتتنوع بين الأراضي الخصبة والمياه الوفيرة[2]، مِمَّا يجعل من إنتاج المحاصيل الصناعية في تلك البلاد عامل مشجع على قيام مثل هذه الصناعات[3]، هذا لما يخص الصناعات النسيجية النباتية، أَمّا صناعة المنسوجات الأخرى فقد تطورت وتنوعت هي أيضًا كالمنسوجات الصوفية، بفعل وجود الأعداد الكبيرة من الأغنام في تلك البلاد التي يربيها المزارعون إلى جانب نشاطهم الزراعي[4]، وكذلك المنسوجات الحريرية التي تعتمد على ما تنتجه تلك البلاد من الحرير[5]، إذ تشتهر الكثير من مدن تلك البلاد بإنتاج أنواعًا كثيرةً من المنتجات الزراعية والحيوانية التي تدخل في صناعة المنسوجات، وما قاله ياقوت الحموي في هذا المجال خير دليل على ما نحن بصدده، إذ قال[6]: "وما وراء النهر من أنزه الأقاليم، وأخصبها، وأكثرها خيرًا".

أَمّا المنتجات الحيوانية فهي أيضًا وفيرة، ولاسِيَّمَا التي تدخل في صناعة المنسوجات مثل: الصوف، والفراء، والأوبار[7].

وَمِمَّا لاشك فيه أَنَّ بلاد ما وراء النهر من الطبيعي أَنْ تكون وفيرة الإنتاج الزراعي الذي يؤمن المواد الخام لصناعة المنسوجات، وذلك لما تمتاز به تلك البلاد من مقومات مهمة كما ذكرنا منها خصوبة التربة وتوافر مياه الري، وهذا بالنتيجة ينعكس أيضًا على تشجيع الفلاحين على تربية الحيوانات المنتجة للمواد الخام الداخلة في صناعة المنسوجات، وفي هذا قالوا[8]: "أَمّا الخصب بها فليس من إقليم إِلَّا بقحط أهله مرارًا قبل أَنْ يقحط ما وراء النهر مرة واحدة، ثمَّ أصيبوا ببرد، أو جراد، أو آفة تأتي على زروعهم، ففي فضل ما يسلم في عرض بلادهم ما يقوم بأودهم حتّى يستغنوا عن نقل شيء إليهم من غير بلادهم، وليس ببلاد ما وراء النهر مكان يخلو من مدن، أو قرى، أو

---

(1) تاريخ بخارى، النرشخي، ص54.

(2) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 5/45-46؛ الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم ، عادل ، أحمد كمال ، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1427هـ/2006م، القاهرة، ص84.

(3) الجمهوريات الإسلامية، عادل ، ص61، ص76.

(4) ينظر: مسالك الممالك، الاصطخري، ص386-388؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، 5/46.

(5) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 5/46؛ الجمهوريات الإسلامية، عادل ، ص69.

(6) معجم البلدان، 5/45.

(7) مسالك الممالك، الاصطخري، ص386-388.

(8) ينظر: مسالك الممالك، الاصطخري، ص287؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ص421-422.

مبانٍ، أو مراعٍ لسائحة وليس شيء لابدّ للناس منهُ إلّا وعندهم منهُ ما يقيم أودهم ويفضل عنهم لغيرهم..."، ومعنى هذا أَنَّهُ ليس فقط تتميز بلاد ما وراء النهر بوفرة الإنتاج الزراعي والحيواني الذي يؤمن المواد الخام لصناعة المنسوجات، وإنَّما تتميز تلك البلاد بتكامل الإنتاج الزراعي والحيواني وتنوعه، إذ وصفت كُلّ بلدة من بلاد ما وراء النهر بأَنَّ لها قرى ومزارع[1]، وهذا بحد ذاته يكفي لتأمين المواد الأولية لصناعة المنسوجات سواءً أكانت نباتية أم حيوانية.

وتعود خصوبة التربة للأراضي الزراعية في بلاد ما وراء النهر إلى طبيعة تكوينها، فضلًا عن مداومة سقيها بمياه الأنهار التي تحمل الرواسب الغرينية[2]، إذ إنَّ أَغلب أَنهار الأقاليم هي أَنهار جبلية تحمل من منابعها كميات كبيرة من الرواسب وتجرف معها التربة الرخوة من القعر والشواطئ، مِمَّا يشكل أراضٍ ذات تربة فيضية خصبة[3].

ثانيًا: كثرة الأيدي العاملة:

ازدهرت الزراعة واتسعت رقعة الأراضي الزراعية المنتجة بفضل تضافر الجهود والعوامل المساعدة على ذلك، وفي مقدمة هذه العوامل اعتناء العاملين في ميدان الزراعة بأراضيهم واستثمارها بشكل صحيح، وهذا ما كانَ معروفًا عن سكان هذه البلاد، ولاسِيَّمَا سكان مدينة بخارى من الذين يعملون في الميدان الزراعي، والذين قيل عنهم إنَّهم أفضل من يقوم بعمارة الأراضي والاعتناء بها، إذ قال الاصطخري[4]: "ليس بما وراء النهر وخراسان بلدًا أحسن قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددًا في المساحة منهم"، وهذا الأمر مخصص بتلك البلدة[5]، ذلك أَنَّ بخارى وصفت بأَنَّ قُراها ورساتيقها كانت عامرة، وهذا يعود إلى أَنَّ فلاحيها دأبوا على تعمير قُراهم[6].

ولم يكن انتشار الزراعة وكثرة الأيدي العاملة في مجال الزراعة ومجال الصناعات النسيجية في مدينة بخارى فقط، وإنَّما كانَ هذا حال بقية مدن بلاد ما وراء النهر[7]، فضلًا عن ذلك فإنَّ كثرة الأيدي العاملة التي تميزت بها بلاد ما وراء النهر لم تكن تعمل في مجال واحد من مجالات النشاط الاقتصادي وإنَّما مثلما حظيت الزراعة بعدد كبير من العاملين فيها فإنَّ صناعة المنسوجات كانت من ضمن المهن التي عمل فيها الكثير من النَّاس، ولكن هذه المهنة تطلبت أَنْ يكون العاملين فيها من ذوي الاختصاص، وبالفعل صنفت العمالة في بلاد ما وراء النهر بأَنَّها: "عمالة ماهرة"[8]، وهذا ما يؤكد أَنَّ الصناعة في تلك البلاد ازدهرت، بفعل وجود عمال مختصين ذوي مهارة عالية لقبوا: بـ (الأستاذية)"[9]، ونال هؤلاء عناية فائقة واهتمام من قبل القائمين على حكم البلاد، ولاسِيَّمَا المغول الذين اجتاحوا البلاد، وكانوا قد عزلوا

(1) معجم البلدان، ياقوت الحموي، 533/1.

(2) تاريخ بخارى، فامبري، ص34.

(3) ينظر: جغرافية الاتحاد السوفيتي، ستردويف، دار التقدّم، لا.ت، موسكو، ص296؛ الدليمي، نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر من الفتح حتّى نهاية القرن الرابع الهجريّ، مُحَمَّد حسن سهيل النجم، أطروحة دكتوراه، كليّة التربيّة – ابن رشد، جامعة بغداد، 1431هـ/2010م، بغداد، ص235.

(4) مسالك الممالك، ص305-306.

(5) ينظر: مسالك الممالك، الاصطخري، ص306؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ص391.

(6) تاريخ روضة الصفا، مير خواند، مُحَمَّد بن سيد برهان الدِّين، 1339هـ، طهران، ج3، ص455.

(7) ينظر: مسالك الممالك، الاصطخري، ص167؛ أحسن التقاسيم، المقدسي، ص261.

(8) تاريخ بخارى، النرشخي، ص37؛ تاريخ جهانكشاري، الجويني، عطاء ملك بن بهاء الدِّين مُحَمَّد (ت681هـ/1282م)، ترجمة: مُحَمَّد التوبخي، دار الملاح للطباعة والنشر، 1985، ج1، ص107؛ تاريخ بخارى، فامبري، ص25.

(9) تاريخ بخارى، النرشخي، ص37.

الصناعيين المهرة عن باقي السكان من أجل الإفادة منهم، وفي ذلك ذكرت المصادر[1]: أَنَّ المغول لما دخلوا إقليم الشاش قتلوا الجنود والأعيان، وأبقوا على حياة الصناع وأصحاب الحرف، (فمن كانَ ذا حرفة وصناعة فصلوه)، وأمر جنكيز خان "أَنْ يبقوا على أصحاب الحرف ولا يدعوا بعدهم أحدًا حيًا"[2]، وهذه السياسة انتهجها المغول في كُلّ مدن بلاد ما وراء النهر، فقد بلغ عدد الصناع والحرفيين الذين الذين عملوا في مهنة صناعة المنسوجات في أثناء الغزو المغولي لتلك البلاد في إقليم خوارزم وحده مئة ألف عامل بعد فصلهم عن السكان[3]، وكذلك فعلوا في مدينة ترمذ[4].

وبالنظر لأهمية هؤلاء العمال عند المغول فقد عينوا عليهم أميرًا يشرف على شؤونهم ويدير أمورهم[5].

فضلًا عن ذلك فإِنَّ المراكز الصناعية المهمة في بلاد ما وراء النهر أقيمت على ضفاف الأنهار المنتشرة في تلك البلاد، إذ تقع أَغلب مراكز الصناعات النسيجية القطنية والصوفية لمدن بخارى وسمرقند في قلب إقليم الصُغد على ضفاف نهر الصغد[6]، وهذا الحال مع أَغلب مدن ما وراء النهر وأقاليمها، والتي اعتمدت في مادتها الأولية على المنتوجات الزراعية والحيوانية[7].

(1) جامع التواريخ (تاريخ المغول)،الهمداني، رشيد الدِّين فضل الله (ت718هـ/1318م)، ترجمة: مُحَمَّد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربيّة، لا.ت، ج1، مج2، مج2، ص247.

(2) المصدر نفسه ، ص240.

(3) تاريخ جهانكشاري، الجويني، 141/1.

(4) المصدر نفسه، 134/1.

(5) المصدر نفسه، 136/1.

(6) ينظر: مسالك الممالك، الاصطخري، ص175؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ص403.

(7) حول المراكز الصناعية في بلاد ما وراء النهر ينظر: مسالك الممالك، الاصطخري، ص175 وما بعدها؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ص403، 492، 498؛ نزهة المشتاق المشتاق في اختراق الآفاق، الإدريسي، مُحَمَّد بن عبدالله (ت560هـ/1165م)، 2002م، القاهرة، ج1، ص481، 488، 490، 493، 496، 497، 504، 506.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

المبحث الثَّاني : أهم الصناعات

أوّلًا: المنسوجات القطنية:

يُعَدُّ القطن[1] من المحاصيل الزراعية الرئيسية التي تزرع في الأراضي السيحية في بلاد ما وراء النهر، وذلك أَنَّ تلك البلاد هي مركز زراعة القطن[2]، وقد تنوعت مظاهر الخريطة الجغرافية لصناعة المنسوجات القطنية في أغلب مدن الإقليم، وقد وصف البلداني الاصطخري[3] صناعة المنسوجات القطنية في بلاد ما وراء النهر بأَنَّها واسعة الانتشار "ما يفضل عنهم حتّى ينقل عنهم إلى الآفاق"، ومن مراكز إنتاج المنسوجات القطنية إقليم الصغد، إذ انتشرت المشاغل اليدوية في مدن بخارى وسمرقند، واشتهرت مدن بخارى بصناعة المنسوجات القطنية، إذ يزرع القطن في أغلب رساتيقها ويتم تصنيعه من قبل الصناع المهرة في المدينة، حتّى قال الاصطخري[4]: "ويرتفع من بخارى ونواحيها من ثياب القطن ما ينقل إلى الآفاق"، ويؤكد البلخي[5] أَنَّ أغلب منتجات بخارى ونواحيها من القطن تصدر إلى العراق بالدرجة الأساس، وقد اشتهرت مدينة بخارى بمعامل نسج القطن، والتي اشتهرت بتنوع منتجاتها[6].

وسنعرض فيما يأتي أهم مراكز صناعة المنسوجات القطنية في مدينة بخارى:

1. الطواويس: أنشأت فيها مصانع لصناعة المنسوجات القطنية، والتي تصدر إلى سائر مدن العالم الإسلامي ولاسِيَّمَا العراق، والتي وصفت بالكثيرة[7]، وذكر النرشخي[8] أَنَّ أهل تلك البلدة كانوا أغنياء، ويعود ذلك إلى هذه الصناعة، "ولم تكن الزراعة سبب غناهم[9]، الأمر الذي جعلها مركز تجاري مهم وسوق رئيسية لهذه السلعة"[10].
2. إسكجكت: وهي مركز صناعي مهم للثياب القطنية، إذ اشتهرت بأنواع جيدة من هذه الثياب، وقد وصف أهلها بالغنى[11].
3. شرغ: وهي من المراكز المهمة لصناعة المنسوجات القطنية، ولاسِيَّمَا الثياب القطنية، وكذلك هي سوق رئيس لتصدير تلك البضاعة يقصدها التجار من أجل تصديرها إلى باقي المدن[12].
4. زندنة: مركز صناعي لصناعة الثياب القطنية، وقد وصفت منتجاتها بأَنَّها من النوعية الجيدة، ويصدر منها إلى المدن الأخرى من العالم الإسلامي[13].
5. وردانة: أيضًا وصفت بأَنَّها مركز صناعي لصناعة الثياب القطنية، وقد وصفت منتجاتها بالجيدة[14].

---

(1) القطن: نبات هندي الأصل، أُدخل إلى إيران والعراق في القرن السابع الميلادي، وزرعه المسلمون في بلاد الشام، ومصر، والأندلس. ينظر: الإسلام في عظمته الأولى، لومبار، موريس، ترجمة: ياسين الحافظ، 1977، بيروت، ص161.

(2) تأتي آسيا الصغرى في إنتاج القطن بالمرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية. ينظر: جغرافية الاتحاد السوفيتي، سولوفيوف، دار التقدم، لا.ت، موسكو، ص187-189؛ بلاد السوفيت، نشر وكالة أنباء نوفوستي، 1979، موسكو، ص113.

(3) مسالك الممالك، مطبعة بريل، 1927، ليدن، ص288.

(4) المصدر نفسه، ص314-315.

(5) صور الأقاليم، ورقة137.

(6) بخارى، بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج5، ص224.

(7) ينظر: مسالك الممالك، الاصطخري، ص288؛ صورة الأرض، ابن حوقل، ص443؛ نزهة المشتاق، الإدريسي، 495/1.

(8) تاريخ بخارى، ص58.

(9) المصدر نفسه، ص28.

(10) صور الأقاليم، البلخي، ص136.

(11) تاريخ بخارى، النرشخي، ص29.

(12) ينظر: المصدر نفسه، ص30؛ تاريخ بخارى، فامبري، ص26.

(13) ينظر: تاريخ بخارى، النرشخي، ص31؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، 154/3، 47/5.

(14) تاريخ بخارى، النرشخي، ص31.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

واشتهرت مدينة سمرقند بصناعاتها القطنية المتميزة، حتّى عُرفت بأنواع من الثياب القطنية تحمل خصوصية المدينة، والتي عُرفت باسمها[1]، فضلًا عن رستاق (وذار)، والذي يُعَدُّ من رساتيق سمرقند المشهورة بين المراكز الصناعية المهمة لصناعة المنسوجات القطنية[2].

وَمِمَّا تجدر الإشارة إليه هنا هو أَنَّ المراكز الصناعية المنتجة للمنسوجات القطنية توزعت على أَغلب مناطق الإقليم، وأخذت أنواع المنسوجات شهرتها وتسميتها من المناطق التي صنعت فيها، مثل: الثياب، والمفروشات، وغيرها، إذ كانَ لكل مدينة صنفها النسيجي الذي تختص به، ولكل مركز نسيجي ركزه الخاص به الذي يميزه عن المنسوجات الأخرى، والذي كانَ لَهُ خصوصية في أسواق المدن الإسلامية، وكانت أَغلب الصناعات النسيجية تتم في قرى ومدن تخصصت للعمل به[3].

أنواع المنسوجات القطنية:

تعددت المصنوعات القطنية في بلاد ما وراء النهر وتنوعت طرائق استخدامها، لكنها في الغالب تركزت حول صناعة الملابس والثياب التي امتازت بتنوع أحجامها وطرائق صناعتها، وأخذت أسماء المدن والأماكن التي صنعت فيها، أَمّا أنواع الثياب فهي:

1. ثياب الكرابيس:

والكرباس نوع من الثياب القطنية ذات اللون الأبيض[4]، وتعرف أيضًا بالثياب البخارية، لكونها تصنع في نواحي مدينة بخارى، وقد وصفها ابن حوقل بقوله[5]: "ثياب تعرف بالبخارية كرابيس ثقال الأوزان، غليظة السلك، مبرمة الغزل"، وبذلك فهي متقنة الصنعة، جيدة الخيوط، ذات صناعة فاخرة، وتصدر هذه النوعية من الثياب إلى العراق خاصة، وذلك لرغبة العرب فيها[6].

وقد تعددت المراكز الصناعية لهذا المنتوج في عِدَّة مدن من نواحي بخارى، فمدينة إسكجكت مركز صناعي لصناعة الثياب القطنية من الكرباس الخشن[7]، وكذلك تُعدُّ ثياب الكرابيس من منتوجات قرية شراغ الرئيسية[8].

أَمّا قرية زندنة فقد اشتهرت بنوع من الثياب القطنية التي عرفت بـ (الثياب الزنديجي)[9]، وكانت تلك القرية المركز الصناعي الرئيسي، إذ يتولى سكانها نسج تلك الثياب، والتي امتازت بنوعية جيدة، حتّى أَنَّ جميع العظماء والملوك يتخذونها ثيابًا ويشترونها بثمن الديباج[10]، وكان التجار يحملون تلك الثياب إلى مدن العالم الإسلامي في العراق، وفارس، وكرمان، والهند، وكذلك الشام، ومصر، والروم[11].

وامتازت تلك الثياب بأَنَّها ذات ألوان متعددة، فمنها الثياب ذات اللون الأحمر، والأبيض، والأخضر[12].

2. الثياب الوذارية:

---

(1) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص220.

(2) نزهة المشتاق،الإدريسي، 105/1.

(3) الإسلام في عظمته الأولى، لومبار، ص163.

(4) الألفاظ الفارسية المعربة، أدي شير، ط2، دار العرب، 1988، القاهرة، ص133.

(5) صورة الأرض، ص443.

(6) المصدر نفسه، ص443.

(7) تاريخ بخارى، النرشخي، ص29.

(8) المصدر نفسه، ص30.

(9) معجم البلدان، ياقوت الحموي ، 154/3.

(10) تاريخ بخارى، فامبري، ص26.

(11) تاريخ بخارى، النرشخي، ص31.

(12) المصدر نفسه، ص37.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

نسبة إلى رستاق وذار أحد رساتيق مدينة سمرقند، والتي اشتهرت بصناعة الثياب القطنية[1]، ووصفت بأنَّها ذات لون واحد لا يخالطها لون آخر، "وهي على لون المصمت"[2].

وقدم الإدريسي[3] وصفًا للقطعة الواحدة من تلك الثياب معبرًا عن إتقان صنعتها وجمال لونها بقولهِ: "وهي قطن حسنة الصنع، غريبة المثال، تلبس خامًا غير مقصوصة... يميل لونها إلى صفرة الزعفران، لينة الملمس، صفاق جدًا ترفة ويعمر الثوب منها كثيرًا ويستخدم المدّة الطويلة".

تبلغ قطعة القماش الواحدة من الثياب الوذارية قبل تقطيعها إذا كانَ كاملًا خمسون ذراعًا في عرض شبرين ونصف، وتكفي القطعة الواحدة من القماش لصناعة ثوبين كاملين وربما يفضل منها[4]، وقد اختلفت أسعار بيع الثياب الوذارية، لكنها تراوحت بين ثلاثة دنانير إلى إلى عشرين دينارًا للثوب الواحد، وأَنَّ جودته أو رداءته هي المعيار لتحديد سعره[5]، وأَنَّ سبب تفوق تلك الثياب وذيوع شهرتها يرجع إلى جودتها وحُسن صنعتها[6]، وراجت تلك الثياب رواجًا كبيرًا في أسواق بغداد، وكانت تسمى بـ (ديباج خراسان) [7]، ويبدو من وصف ابن ابن حوقل[8]: أَنَّ تلك الثياب تلبس خامًا غير مقصوصة، إذ يلبسها الأمراء، والوزراء، والقضاة، إذ تُعدُّ من الثياب الفاخرة، فتكون هي: "الظاهرة على ما يلبسه من فاخر الثياب في الشتاء وجمالهم بها ظاهر، وزينتهم بها فاشية، وفيها نعمة، وهي ثياب صفيقة ترفة".

واشتهرت في مدينة سمرقند أنواع من الثياب حملت عِدَّة أسماء، فهناك ثياب قطنية عرفت بـ (السمرقندية) [9]، وهناك ثياب (سيمكون) القطنية المصنعة في سمرقند أيضًا[10]، وكذلك ثياب (ممرجل) وهي ثياب قطنية لونها أحمر تصدر من سمرقند إلى بلاد الترك[11].

وعرفت خوارزم كذلك بعدّة أنواع من الثياب القطنية منها ما يسمى بـ (أرنج) [12]، ومنها ما يسمى بـ (مقانع ملحم)[13]، فضلًا عن نوع من اللحف تستخدم كمفروشات قطنية من قبل مختلف الطبقات[14].

وكان من الطبيعي أَنْ تتنوع المنسوجات القطنية في بلاد ما وراء النهر وتنتشر فيها المصانع لذلك الغرض، وذلك لاشتهارها بزراعة القطن الذي كانَ يفيض عن الحاجة "ويحمل إلى الترك"[15].

---

(1) ينظر: أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250؛ بلدان الخلافة الشرقية، ليسترنج، كي، نقله إلى العربيّة وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط2، 1405هـ/1985م، بيروت، ص510.

(2) ينظر: أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250؛ بلدان الخلافة الشرقية، ليسترنج، ص510.

(3) نزهة المشتاق، 501/1.

(4) الإشارة إلى محاسن التجارة، الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت ق6هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، 1999م، بيروت، ص40.

(5) ينظر: صورة الأرض، ابن حوقل، ص466؛ نزهة المشتاق، الإدريسي، 501/1.

(6) ينظر: صورة الأرض، ابن حوقل، ص466؛ الإشارة إلى محاسن التجارة، الدمشقي، ص40.

(7) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.

(8) صورة الأرض، ص466.

(9) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.

(10) المصدر نفسه، ص250.

(11) المصدر نفسه، ص250.

(12) لطائف المعارف، الثعالبي، عبدالملك بن مُحَمَّد (ت429هـ/ 1037م)، تحقيق: إبراهيم الابياري وحسن كامل، دار إحياء الكتب العربيّة، لا.ت، الأردن، ص226؛ أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.

(13) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.

(14) المصدر نفسه، ص250.

(15) المصدر نفسه، ص250.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

ومن المنتوجات القطنية الأخرى التي اعتاد أهل بلاد ما وراء النهر على ارتدائها والتي كانت تمثل الزي الرسمي لأغلب سكان الأقاليم كانت الأقبية، والقلانس، والقراطق، ذلك أَنَّها "مستقيمة على كور ما وراء النهر"[1]، أَمّا الأقبية فهي ثياب تصنع من القطن يستخدمها الرجال عامة، وهي لباس فارسي الأصل، طويلة مقفلة من الأمام، ومقدرة من الرقبة، ذات عِدَّة ألوان أشهرها الأزرق[2]، وذكر المقدسي[3] أَنَّ عامة أهل بلاد ما وراء النهر يفضلون لبس الأقبية المفتوحة، ويعلل المقدسي ذلك التفضيل لتلك الملابس لأَنَّ أَغلب مدن الأقاليم ثغور إسلامية ملتزمة جانب الجهاد[4].

3. القلانس:

وهي ذات أصل فارسي تعني كلاة[5]، والتي توضع على الرأس، وتُلف عليها العمامة، وهي من الرسوم المتميزة لزي سكان بلاد ما ما وراء النهر[6].

وكان الشاش من أبرز المراكز الصناعية لهذه المنسوجات، والتي عرفت باسمها (القلانس الشاشية) [7]، وقد اعتادت أَغلب الطبقات الطبقات في بلاد ما وراء النهر على ارتداء العمائم القطنية ذات الألوان الفاتحة، ولاسِيَّمَا البيضاء منها[8]، وذكر ابن حوقل[9] أَنَّ لأهل بلاد بلاد ما وراء النهر طريقة في تصنيعها ولبسها، فذكر أَنَّ لأهل خوارزم طريقة في لبس القلانس، إذ كانوا يعوجوها "ولهم في تعويجها زي ورسم".

4. القراطق:

وهي أيضًا ذات أصل فارسي معربة من كرته، والتي تعني السترة القصيرة، وصفت بأَنَّها ذات طاق واحد[10]، وهي زي أهل خوارزم واعتادوا على لبسها مع القلانس[11].

ثانيًا: المنسوجات الكتانية:

اشتهرت بعض مناطق بلاد ما وراء النهر بصناعة المنسوجات الكتانية، وتركزت صناعتها في إقليم فرغانة الشاش وخوارزم، وقد وُصفت الملابس الكتانية بأَنَّها كلما كانت "ألْيَن وأرطب فهو أفضل"[12]، وكانت الأقمشة الكتانية من الأنواع الفاخرة، ويبدو أَنَّهُ كانَ من ضمن هدايا الأمراء الغالية، فقد أهدى الأمير إسماعيل الساماني لكل قائد في جيشه قطعة قماش مصنوعة من الكتاب كهدايا قيمة[1].

---

(1) الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، مُحَمَّد بن عبدالمنعم (ت900هـ/ 1494م)، تحقيق: إحسان عبّاس، 1980م، بيروت، ص83.

(2) اشتهرت مدينة بخارى بصناعة الأقبية، وكان سعر القباء الواحد بخمسة دراهم. ينظر: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، شمس الدِّين يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/1256م)، 1915، بيروت، ق2، ج8، ص582؛ الأبشيهي، المستطرف في كُلّ فن مستظرف، شهاب الدِّين بن أحمد (ت852هـ/1448م)، 1358هـ، القاهرة، ج2، ص27؛ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، رينهارت دوزي، ترجمة: أكرم فاضل، 1917م، بغداد، ص284.

(3) أحسن التقاسيم، ص252.

(4) المصدر نفسه، ص252.

(5) الألفاظ الفارسية المعربة ، أدي شير ص124.

(6) رسوم دار الخلافة، الصابي، أبي الحسن هلال بن المحسن (ت448هـ/1056م)، تحقيق: ميخائيل عواد، 1964، بغداد، ص43.

(7) المصدر نفسه، ص43.

(8) بخارى، نومكين، فيتالي وأندري نيد فيتسكي، ترجمة: صلاح صلاح، منشورات المجمع الثقافي، 1995، أبو ظبي، ص13-14.

(9) صورة الأرض، ص438.

(10) الألفاظ الفارسية المعربة، أدي شير، ص124؛ المعجم المفصل، رينهارت، ص292.

(11) صورة الأرض، ابن حوقل، ص438.

(12) الإشارة إلى محاسن التجارة، الدمشقي، ص37.

أمّا أهم مراكز صناعة المنسوجات الكتانية فهي:

– فرغانة:

وصفت بأنَّها من المراكز الرئيسة لصناعة النسيج الكتاني، ووصف إنتاجها بالكثير[2]، وكان النسيج الكتاني المصنع في فرغانة يسمى في الأسواق بـ "الكتّان التركي"[3].

– إيلاق:

يصنع فيها نسيج كتاني مميز يدعى "الكتّان الأبيض"[4]، والذي يرتديه عامة سكان الأقاليم، ويبدو أنَّ وجود مصانع إنتاج الكتاب الأبيض في الأقاليم واشتغال أغلب الأهالي في هذه الصناعة انعكس على وفرتها في الأسواق وانخفاض سعرها، الأمر الذي جعل المنتوج هو اللباس الرسمي لأهل الناحية، ويعد "لباس عامة سكان الناحية"[5].

وانتشرت كذلك صناعة المنسوجات الكتانية في المناطق الواقعة بين الخُتل والصغانيان، والتي وصفت بأنَّها من المراكز الصناعية لهذا المنتوج، وذكر صاحب حدود العالم[6] أنَّ ثروة سكان هذه المنطقة تأتي من صناعة قماش الكتاب، فضلًا عن تربية الماشية.

أمّا في خوارزم فقد أقيمت مصانع للنسيج الكتّاني، وقد اختصت بصناعة نوعين من الأقمشة الكتانية التي ذاع صيتها، وهي "الكتّان الدبيقي[7]، والكتّان الأشموني"[8]، وحمل الكتاب الدبيقي والكتان الأشموني أسماء مدن مصرية تُعدُّ من المراكز الرئيسة لصناعة هذه الأنواع من الكتان[9]، ممَّا يبدو واضحًا حجم التأثير المصري في هذه الصناعة[10]، ذلك أنَّ أغلب النسّاجين لهذا المنتوج قد استقروا منذ القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلادي في أغلب مدن الخلافة الشرقية، ونقلوا معهم هذه الصناعة، والذين امتازوا بدقة صناعتهم، وانتظام مواعيدهم، وسرعة إيصالها إلى المستهلك، فاشتهروا سريعًا[11]، وصنعت الثياب الأشمونية في مدينة بخارى أيضًا، واشتهرت بصناعة هذا النوع من الثياب[12].

ثالثًا: المنسوجات الحريرية:

ازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في بلاد ما وراء النهر بأنواعها المختلفة، وذلك لملاءمة بيئة أقاليم تلك البلاد لمثل هذه الصناعة، وسبب ذلك أنَّ سكان الأقاليم أتقنوا تربية دودة القز[13]، وكذلك ازدهار زراعة شجرة التوت[1]، التي يزرع منها الكثير في أراضي

---

(1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ، آدم متز، ترجمة: مُحَمَّد عبدالهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، لا.ت، ج2، ص357؛ الحضارة العربيّة، ريسلر، جاك، ترجمة: غنيم عبدون، لا.ت، القاهرة، ص125.

(2) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول (ألف كتابه سنة 372هـ/982م)، تحقيق: منوجهر ستوده، ترجمة: إسراء سبهان القيسي، 2002، بغداد، ص93.

(3) المصدر نفسه، ص93.

(4) ينظر: حدود العالم، مؤلف مجهول، ص95؛ بخارى، نومكين، ص13.

(5) حدود العالم، مؤلف مجهول، ص95.

(6) المصدر نفسه، ص99.

(7) نسبة إلى دبيق من أعمال مصر بين الفرما وتنيس. معجم البلدان، ياقوت الحموي، 438/2.

(8) أشمون: هي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غرب النيل ذات بساتين ونخل كثير. معجم البلدان، ياقوت الحموي، 200/1، وتسمى بـ: أشمونين: من مدن صعيد مصر. أحسن التقاسيم، المقدسي، ص164.

(9) ينظر: صورة الأرض، ابن حوقل، ص156؛ أحسن التقاسيم، المقدسي، ص168، 169، 170.

(10) تركستان من الفتح العربيّ إلى الغزو المغولي، بارتولد، ص366-367.

(11) الحضارة العربيّة، ريسلر، ص125.

(12) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.

(13) هي دويبة تعيش على شجرة التوت تمد لعابها وخيوط رقاقًا وتنسج على نفسها كفنًا مثل الكيس ليكون لها حرزًا من الحر والبرد. ينظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، القزويني، زكريا بن مُحَمَّد (ت682هـ/1283م)، 2006م، المنصورة، ص347.

صناعة المنسوجات في بلاد ما وراء النهر حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تأريخية)

م.د. حميد جميل محمد

الأقاليم على ضفاف الأنهار، وهي الغذاء الرئيسي لدودة القز، ويعود الفضل في ازدهار صناعة الحرير وانتقالها من إقليم بلاد ما وراء النهر إلى العرب الفاتحين الذين أنشأوا منطقة اقتصادية إسلامية موحدة واسعة أسهمت في انتقال طرائق تربية دودة القز منذ القرن الأوّل الهجريّ/ السادس الميلادي إلى حوض البحر الأبيض المتوسط والأندلس[2]، ويذكر أنَّ صناعة الحرير في بلاد ما وراء النهر قد تأثرت بصناعة الحرير الصيني[3]، والتي انتقلت إلى الأقاليم بعدّة طرائق[4].

وهناك عِدَّة مدن وأقاليم في بلاد ما وراء النهر اشتهرت بصناعة المنسوجات الحريرية، وكانت مراكز رئيسية لهذه الصناعة منها خوارزم، التي أتقن أهلها تربية دودة القز، واستخراج خيوط الحرير منها، "فإنَّ لهم يد باسطة في تربيتها ساعدهم في ذلك كثرة أشجار التوت والتي وصفت بالكثيرة"[5]، ولدودة القز تسمية أُخرى وهي دودة الإبريسم[6]، وكانت بخارى وسمرقند من المراكز الصناعية المهمة لصناعة المنسوجات الحريرية والديباج[7]، وقد اعتاد الأغنياء من أبناء المدن على الحرير والديباج[8]، وكانت تنقش عليها رسومات حيوانية جميلة، فضلًا عن كتابة بعض العبارات الخاصة، فمثلًا عثر على قطعة من النسيج الحريري صنعت في زمن الإمارة السامانية منقوش عليها: "عزِ وإقبال للقائد أبي منصور بجتكين أطالَ اللهُ بقاءه"، وهو أحد قواد عبدالملك بن نوح الذي قتل سنة (349هـ/960م)[9].

أَمّا مدينة سمرقند فقد صنعت فيها ثياب حريرية وصفت بالكثيرة[10]، يطلق عليها ثياب القز[11]، ويتم تصديرها إلى أنحاء العالم الإسلامي آنذاك[12]، وكانت ثياب الحرير السمرقندية قد دخلت ضمن شروط الصلح التي أبرمها قتيبة بن مسلم مع أهل الصغد، إذ قوّمت شقة الحرير بثمانية وعشرين درهمًا[13].

وتسمى خيوط الحرير قبل نسجها بـ "الإبريسم"[14]، وهو الحرير الخام، ويصنع من خيوط الحرير نوع الثياب تسمى بـ "ثياب البريسمية"[1]، ومن المراكز الصناعية لصناعة هذا النوع من الثياب مدينة خجندة[2]، والتي اشتهرت بصناعة ثياب "البريسم الخجندي"[3]، الخجندي"[3]، والتي عرفت بجودة صناعتها، وكان يفضل على باقي الثياب، "ولا يفضل عليه إبريسم البتة"[4].

---

(1) التوت: ويسمى الفرصاد: وهي ألوان متعددة منهُ الأبيض، والأسود، والأخضر، والأحمر، والأصفر، ينبت على حافات الأنهار، وأفضل الترب لزراعته التربة الرطبة كثيرة الماء، وكذلك الأرض السوداء. الفلاحة، ابن بصّال، عبدالله بن إبراهيم (ت499هـ/1106م)، نشر: خوسيه ماري وَمُحَمَّد عزيمان، 1955، تطوان، ص88؛ زهرة البستان ونزهة الأذهان، الغرناطي، مُحَمَّد بن مالك (من علماء القرن الخامس الهجري)، تحقيق: مُحَمَّد مولود ملخص، 2001م، بغداد، ص275.

(2) الإسلام في عظمته الأولى، لومبار، ص161.

(3) حول الحرير الصيني ينظر: مختصر كتاب البلدان، ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد الهمذاني (ت365هـ/975م)، 1302هـ، ليدن، ص14؛ بخارى، فامبري، ص45.

(4) ذكر بدر الدِّين الصيني أَنَّ صناعة ما وراء النهر تأثرت بصناعة الصين إلى حَدّ ما، ذلك أَنَّ العرب الفاتحين قد نقلوا أثر الصين الصناعي إلى المنسوجات الإسلامية بعد معركة طلس سنة (132هـ/750م)، إذ تَمَّ أسر عدد من الصّناع الصينيين الذين نقلوا تلك الصناعة إلى عدد من المدن الإسلامية، كذلك العلاقات التجارية التي كانت وثيقة بين العرب والصين في القرن الثَّالث الهجريّ التاسع الميلادي حين كانت تحمل هدايا نفيسة وتحف نادرة من الأقمشة الحريرية، والديباج، وغيرها إلى الخلفاء المسلمين. تركستان، بارتولد، ص366؛ فتح العرب للصين، لومبار، ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني، 1968، بغداد، ص4 وما بعدها.

(5) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 396/2؛ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، دار صادر، 1960، بيروت، ص520.

(6) معجم البلدان، ياقوت الحموي، 396/2.

(7) تاريخ بخارى، فامبري، ص25.

(8) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.

(9) الدويلات الإسلامية بالمشرق، حيدر، مُحَمَّد علي، 1973، القاهرة، ص212.

(10) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250-251.

(11) القزّ: بمعنى الحرير وهو معرب من كز، وهو الإبريسم غير المصنع، والقز: نوع من الثياب ينسج من الحرير فقط أو المخلوط مع الصوف. الألفاظ الفارسية المعربة، أدي شير، ص54.

(12) أحسن التقاسيم، المقدسي، 251.

(13) كتاب الفتوح، ابن أعثم الكوفيّ، أبو مُحَمَّد أحمد (ت314هـ/926-927م)، تحقيق: علي شيري، ط1، دار الأضواء، 1411هـ/1991م، بيروت، ج7، ص161.

(14) الألفاظ الفارسية المعربة، أدي شير، ص60. وذكر الدمشقي مواصفات خيوط البرسيم الجيدة، إذ تكون شكلًا واحدًا من حيث السُمك، وأنْ يكون ثقيل الوزن. الإشارة إلى محاسن التجارة، ص38.

ومن الثياب الحريرية الأخرى نوع يعرف بالديباج، وهو الثوب الذي سَداهُ ولُحمتهُ من حرير[5]، إذ يكون مطرزًا بخيوط من الذهب والفضة، ويحتوي على عِدَّة أشكال من الرسوم تشمل أنواع من الزوهر، والطيور، وأوراق النبات، وهذا النوع من القماش وُجِدَ بمدينة كش، وكان الأثر الصيني واضحًا فيه، الأمر الذي جعله أنموذجًا للمنسوجات الإسلامية فيما بعد[6].

وكان الديباج يصنع في مدينة سمرقند ويصدر إلى الترك[7]، ويصنع في إقليم خوارزم نوع من الديباج مصنوع من القطن والحرير يسمى "ديباج بيشكش"[8]، ولم يكن الديباج مقتصرًا على صنع الثياب، وإنَّما كانَ يصنع منهُ المفروشات، واللوحات المعلقة على الجدران، وقد وصفت الأنواع الجيدة منهُ من حيث حُسن صبغه، وانتظام نقوشه، وصفق نسيجه، وإشراق لونه، وثقل وزنه، ولصناعة ثوب واحد من الديباج يحتاج إلى قطعة بقياس يبلغ مئة وعشرين شبرًا، أَمّا الديباج المستخدم للفرش والتعليق فمقدار طوله يكون مئة شبر، وقد يكون أكبر أو أَصغر...[9].

وفضلًا عن ذلك فقد اشتهرت بلاد ما وراء النهر بأنواع أُخرى من الصناعات النسيجية منها صناعة المنسوجات الصوفية التي تتوافر لها الكثير من المواد الأولية، بفضل تربية الأغنام في تلك البلاد[10]، فصنعت أنواع جيدة من الثياب الصوفية السميكة المتقنة الصنع[11]، سمي قسم منها بـ "اللبّاد"[12].

وانتشرت كذلك صناعة الأوبار في أَغلب بلاد ما وراء النهر، لكثرة الحيوانات المنتجة لَهُ، فهناك أوبار من الإبل، وحيوانات السّمور، والسنجاب، والثعالب، وغيرها، فكان "لهم من الوبر الكثير"[13]، وكذلك صناعة الجلود بأنواعها[14].

وفي ختام دراستنا نود الإشارة إلى أَنَّنا لم تناول دراسة المنسوجات الصوفية، وصناعة الأوبار، وصناعة الجلود بشيء من التفصيل، وذلك لأَنَّ الدّراسة اختصت أساسًا بصناعة المنسوجات القطنية، والكتانية، والحريرية، ولو فرضنا أَنَّنا حاولنا دراسة ذلك بالتفصيل أيضًا لاتسع الموضوع أكثر مِمَّا ينبغي، نسأل الله تعالى التوفيق لدراسة موضوع المنسوجات الصوفية وصناعة الأوبار والجلود وبحثها في دراسات لاحقة، إِنَّهُ ولي التوفيق.

الخاتمة:

امتازت بلاد ما وراء النهر باتساع رقعتها الجغرافية، وتنوع ظروفها الطبيعية والمناخية، وتعدد مواردها، الأمر الذي جعلها تتصف بالثراء من الناحية الاقتصادية، ولاسِيَّمَا فيما يتعلق بموضوع دراستنا (صناعة المنسوجات) التي تضافرت عوامل طبيعية وبشرية على جعلها واسعة الانتشار، ومتعددة، ومتقنة إلى المستوى الذي جعلها محط إقبال الطبقات الراقية وإقتناءها في المجتمع سواء أداخل بلاد من وراء النهر

---

(1) عجائب المخلوقات، القزويني، ص348.
(2) بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ نهر سيحون، وهي مدينة نزهة. معجم البلدان، ياقوت الحموي، 347/2.
(3) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 46/5؛ الحضارة الإسلامية، آدم متز، 358/2.
(4) معجم البلدان، ياقوت الحموي، 46/5.
(5) الألفاظ الفارسية المعربة، أدي شير، ص60.
(6) العلاقات بين العرب والصين، الصيني، بدر الدين ، 1950م ، القاهرة، ص258.
(7) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250، 251.
(8) ينظر: أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250؛ بلدان الخلافة الشرقية، ليسترنج، ص502.
(9) الإشارة إلى محاسن التجارة، الدمشقي، ص38-39.
(10) صورة الأرض، ابن حوقل، ص460.
(11) ينظر: المصدر نفسه، ص460، 466؛ أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.
(12) وصفت هذهِ الثياب بأَنَّها أفضل ما دُق، واستوى نسجه، وحسن صبغه، وصلب لقوة دلكه، ونعم صوفه. الإشارة إلى محاسن التجارة، الدمشقي، ص41.
(13) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.
(14) تاريخ بخارى، النرشخي، ص30؛ أحسن التقاسيم، المقدسي، ص250.

أم خارجها، وجاء ذلك نتيجة توفر المواد الأولية، حيث وفرة القطن، والكتان، وتربية دودة القز المنتجة للحرير، فضلًا عن وجود العمال والحرفيين الماهرين الذين اتقونوا الصنعة، وتفننوا في إنتاج منسوجات متنوعة تلبي حاجة النَّاس، إذ لم يقتصر إنتاج المنسوجات على الأقمشة والثياب، وإنَّما تعددت وتنوعت الثياب منها: ثياب الكرابيس، والثياب الوذارية، وكذلك صُنعت القلانس، والأقبية، والمفروشات.

وتعددت كذلك المراكز الصناعية في بلاد ما وراء النهر، فاشتهرت مدن وأقاليم كثيرة بصناعة المنسوجات القطنية، والكتانية، والحريرية، أخذت الكثير منها اسم الإقليم أو المدينة المصنعة.

لم يقتصر إنتاج المنسوجات في تلك البلاد على سد حاجة النَّاس محليًا، وإنما ما كانَ يفيض منهُ يصدر إلى أنحاء أُخرى من الدولة العربيّة الإسلامية والبلاد المجاورة.

وفي الختام نسأل الله تعالى أَنْ نكون قد وُفقنا في إعطاء الموضوع حقه في البحث، والدراسة، وتقديم معلومات مفيدة للدراسين والباحثين في هذا المجال، فضلًا عن إبراز جانب مهم من جوانب النشاط الاقتصادي المتطور في الدولة الإسلامية الذي نعتقد أَنَّهُ لا يزال بحاجة إلى المزيد من البحث، والدراسة، والاهتمام، الأمر الذي جعل العثور على المصادر والدراسات المتخصصة فيه أمر ليس باليسير.

والله ولي التوفيق

الباحث

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلًا: المخطوطات:

1. صور الأقاليم، البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت322هـ/933م)، مخطوطة مكتبة الحكيم العامة، رقم632، ورقة112، النجف.

ثانيًا: المصادر الأولية:

1. آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، زكريا بن مُحَمَّد (ت682هـ/1283م)، دار صادر، 1960م، بيروت.
2. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، شمس الدِّين أبي عبدالله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر (ت380هـ/990م)، علق عليه ووضع حواشيه: مُحَمَّد أمين الضناوي، ط1، 1424هـ/2003م، بيروت.
3. الإشارة إلى محاسن التجارة، الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (من علماء القرن السادس الهجري)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار صادر، 1999م، بيروت.
4. البداية والنهاية، ابن كثير، عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م)، تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، 1418هـ/ 1998م، القاهرة.
5. تاريخ البيهقي، البيهقي، أبو الفضل مُحَمَّد بن الحسن (ت470هـ/1077م)، ترجمة: يحيى الخشّاب وصادق نشأت، دار النهضة العربيّة، 1982م، بيروت.
6. تاريخ الخلفاء، السيوطيّ، جلال الدِّين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1507م)، تحقيق: مُحَمَّد أحمد عيسى، ط1، دار الغد الجديد، 1428هـ/2007م، القاهرة.
7. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير (ت310هـ/922م)، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، 1959م، القاهرة.
8. تاريخ بخارى، النرشخي، أبو بكر مُحَمَّد بن جعفر (ت348هـ/959م)، ترجمة: أمين عبدالمجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ج1،1993م، القاهرة.
9. جامع التواريخ (تاريخ المغول)، الهمداني، رشيد الدِّين فضل الله (ت718هـ/1318م)، ترجمة: مُحَمَّد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربيّة، لا.ت.
10. حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول، (ألف كتابه سنة 372هـ/982م)، تحقيق: منوجهر ستوده، ترجمة: إسراء سبهان القيسي، 2002م، بغداد.
11. دول الإسلام، الذهبي، الحافظ شمس الدِّين أبو عبدالله مُحَمَّد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، ج1، 1233هـ، حيدر آباد الدكن.
12. رسوم دار الخلافة، الصابي، أبو الحسين هلال بن المحسن (ت448هـ/1056م)، تحقيق: ميخائيل عواد، 1964م، بغداد.
13. الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، أبو عبدالله مُحَمَّد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت900هـ/1494م)، تحقيق: د. إحسان عبّاس، 1975م، بيروت.
14. زهرة البستان ونزهة الأذهان، الغرناطي، مُحَمَّد بن مالك (من علماء القرن الخامس الهجري)، تحقيق: مُحَمَّد مولود ملخص، 2001م، بغداد.
15. شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب،ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن علي بن مُحَمَّد (ت1089هـ/1678م)، مكتبة القدس العربيّ، لا.ت، بيروت.
16. صورة الأرض، ابن حوقل، أبو القاسم مُحَمَّد بن علي النصيبي (ت367/977م)، ط1، شركة نوابغ الفكر، 2009م، القاهرة.
17. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، القزويني، زكريا بن مُحَمَّد (ت682هـ/1283م)، 2006م، المنصورة.

18. فتوح البلدان، البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر (ت279هـ/892م)، 1318هـ، القاهرة.
19. الفلاحة، ابن بصّال، عبدالله بن إبراهيم (ت499هـ/1106م)، نشر: خوسيه ماري وَمُحَمَّد عزيمان، 1955م، تطوان.
20. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عز الدّين أبي الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت630هـ/1238م)، ط1، دار الكتب العلميّة، 1987م، بيروت.
21. كتاب الفتوح، ابن أعثم الكوفيّ، أبو مُحَمَّد أحمد (ت314هـ/926-927م)، تحقيق: علي شيري، ط1، 1411هـ/1991م، بيروت.
22. لطائف المعارف، الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن مُحَمَّد بن إسماعيل (ت429هـ/1037م)، تحقيق: إبراهيم الإيباري وحسن كامل الصوفي، دار إحياء الكتب العربيّة، بدون سنة طبع.
23. مختصر كتاب البلدان، ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد الهمذاني (ت365هـ/975م)، 1302هـ، ليدن.
24. مرآة الجنان في تاريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، شمس الدِّين يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/1256م)، 1951، حيدر آباد الدكن.
25. مسالك الممالك، الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد الفارسيّ الكرخي (ت340هـ/951م)، تحقيق: مُحَمَّد جبار عبدالعال، 1961م، القاهرة.
26. المستطرف في كُلّ فن مستظرف، الأبشيهي، مُحَمَّد بن أحمد (ت850هـ/1446م)، 1379هـ، القاهرة.
27. معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدِّين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م)، 1397هـ/1977م، بيروت.
28. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإدريسي، مُحَمَّد بن عبدالله (ت560هـ/1165م)، 2002م، القاهرة.

ثالثًا: المصادر الفارسية:

1. تاريخ جهانكشاري، الجويني، عطاء ملك بن بهاء الدِّين مُحَمَّد (ت681هـ/1282م)، ترجمة: مُحَمَّد التوبخي، دار الملاح للطباعة والنشر، 1985م.
2. زين الأخبار، جرديزي، أبو سعيد عبدالحي بن الضحاك بن محمود (ت443هـ/1051م)، تعريب: أ.د. عفاف السيد زيدان، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2006م، القاهرة.

رابعًا: المراجع الحديثة والمعربة:

1. الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربيّ والتركي، محمود، حسن أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م، القاهرة.
2. الإسلام في عظمته الأولى، لومبار، موريس، ترجمة: ياسين الحافظ، 1977م، بيروت.
3. بخارى، بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج5 (لا.ت).
4. بخارى، نومكين، فيتالي وأندري تيد فيتسكي، ترجمة: صلاح صلاح، منشورات المجمع الثقافي، 1995م، أبو ظبي.
5. بلاد السوفيت، وكالة أنباء نوفوستي، 1979م، موسكو.
6. بلدان الخلافة الشرقية، ليسترنج، كي، نقله إلى العربيّة وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م، بيروت.

7. التاريخ الإسلام، التاريخ المعاصر، المسلمون في الإمبراطورية الروسية، شاكر ، محمود، ط2، المكتب الإسلامي 1414هـ/1994م، بيروت، دمشق، عمان.
8. التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربيّة، سالم، السيد عبدالعزيز، لا.ت، بيروت.
9. تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتّى العصر الحاضر، فامبري، أرمنيوس، ترجمه وعلق عليه: د.أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم لَهُ: يحي الخشّاب، مكتبة نهضة الشرق، لا.ت، القاهرة.
10. تاريخ روضة الصفا، ميرخواند، مُحَمَّد بن سيد برهان الدِّين، 1339هـ، طهران.
11. تركستان من الفتح العربيّ حتّى الغزو المغولي، بارتولد، فاسيلي فلاديمروفتش، ترجمة: صلاح الدِّين عثمان هاشم، ط1، 1981م، الكويت.
12. جغرافية الاتحاد السوفيتي، سترووِيف، دار التقدّم، لا.ت، موسكو.
13. جغرافية الاتحاد السوفيتي، سولوفيوف، دار التقدّم، لا.ت، موسكو.
14. الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتّى اليوم، عادل، أحمد كمال، ط1، دار السّلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1427هـ/2006م، القاهرة.
15. حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، المصري، د. جميل عبدالله مُحَمَّد، ط1، 1406هـ/1986م، الرياض.
16. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريّ، آدم متز، ترجمة: مُحَمَّد عبدالهادي أبو جريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، لا.ت.
17. الحضارة العربيّة، ريسلر، جاك، ترجمة: غنيم عبدون، لا.ت، القاهرة.
18. الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأوّل، الشامي، أحمد، 1986م، القاهرة،.
19. الدويلات الإسلامية بالمشرق، حيدر، مُحَمَّد علي، 1973م، القاهرة.
20. العلاقات بين العرب والصين ، الصيني ، بدر الدِّين ، 1950م، القاهرة.
21. الفتح الإسلامي ببلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك، عبداللطيف، عبدالشافي مُحَمَّد، 1993م، القاهرة.
22. فتح العرب للصين، لومبار، موريس، ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني، 1968م، بغداد.
23. محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز – الواقع والتأريخ، سلطان، د. سعيد أحمد، ط1، 1426هـ/2005م، القاهرة.
24. المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقًا، دراسة اجتماعية اقتصادية سياسية، محمود طه أبو العلا، 1905م، القاهرة.
25. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، رينهارت، دوزي، ترجمة: أكرم فاضل، 1971، بغداد.
26. موجز تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، عدوان، أحمد محمود، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1410هـ/1990م الرياض.

خامسًا: البحوث والدراسات:

1. الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر، عبداللطيف، أحمد توني، بحث منشور ضمن المؤتمر الدولي، المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، 1992م، القاهرة.

سادسًا: الأطاريح والرسائل الجامعية:

1. نظام الري والزراعة في بلاد ما وراء النهر من الفتح حتّى نهاية القرن الرابع الهجريّ، الدليمي، مُحَمَّد حسن سهيل النجم، أطروحة دكتوراه، كليّة التربيّة – ابن رشد، جامعة بغداد، 1431هـ/2010م، بغداد.